65 - ـ فصل : قمة التدبر .

قرأت من غرائب العلم و عجائب الحكم على بعض من يدعي العلم فرأيته يتلوى من سماع ذلك و لا يطلع على غوره و لا يشرئب إلى ما يأتي فصدفت عن إسماعه شيئا آخر و قلت : إنما يصلح مثل هذا الذي لب يتلقاه تلقي العطشان الماء .

ثم أخذت من هذه إشارة هي أنه لو كان هذا يفهم ما جرى و مدحني لحسن ما صنعت لعظم قدره عندي و لأريته محاسن مجموعاتي و كلامي و لكنه لما لم أره لها أهلا صرفتها عنه و صدفت بنظري إليه .

و كانت الإشارة : أن ا D قد صنف هذه المخلوقات فأحسن التركيب و أحكم الترتيب ثم عرضها على الألباب فأي لب أو غل في النظر مدح على قدر فهمه فأحبه المصنف و كذلك أنزل القرآن يحتوي على عجائب الحكم فمن فتشه بيد الفهم و حادثة في خلوة الفكر استجلب رضى المتكلم به و حظي بالزلفى لديه .

و من كان للذهن مستغرق الفهم بالحسيات صرف عن ذلك المقام قال ا D : { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق }